

obeykandi.com

أدب وفكر

## هدأت العاصفة وبقيت الأسئلة سيرة حياة د. عبد الرحمن بدوى

هدأت نسبيًا الضجة التي أثارها كتاب د. عبد الرحمن بدوى «سيرة حياتي» الذي صدر في جزئين ويؤرخ فيه لعصر كامل من رجال وأحداث ومواقف.

وبدوى الذي يعيش في باريس منذ عام ١٩٩٦ له وجهة نظر، يتحدث عنها في كتابه بصراحة شديدة. لذلك حدثت الضجة الهائلة والزلازل العارم وتوابعه المختلفة، في رد على أستاذ فلسفة أراد أن يقدم شهادته الشخصية عن عصره وناسه والمواقف التي خاضها ترجمة لقناعات يعتقد بها.

والناس مجموعة من الأفكار، وحزمة من المواقف وتاريخ المفكر هو القناعات التي تمثل رحلته في العالم، وردود الفعل الذاتية المرتبطة بشخصه والانتماء الاجتماعى، والوضع الطبقي، والفلسفة التي يعتقد بصحتها.

وقد أحدثت سيرة حياة د. عبد الرحمن بدوى ضجة هائلة، وصدمت بعض آرائه القناعات وصدمت بعض آرائه القناعات المختلفة سواء عن التاريخ أو عن مواقف مرتبطة بالحياة الاجتماعية في مصر والعالم العربى.

وصدرت للمؤلف عدة كتب في كافة مناحى الفكر الإنسانى. إلا أن تأثيره ظل محدودًا داخل دائرة الفكر الإسلامى أو حياة المثقفين.

ومؤلف السيرة الذاتية منكر في علوم الفلسفة وله اجتهادات معينة، في عمليات رصد بنية الفكر الإسلامى أو شرح وتحقيق المراجع المهمة في تاريخ الفلسفة اليونانية حتى المدرسة الإسلامية.

ويغلب على أعمال د. بدوى التجميع، والشرح، والترجمة. وخلال مسيرة فكرية طويلة أصدر عشرات الكتب عن «نيتشه» المفكر الألماني وغيره من أعلام العصر.

وقد ظلت شهرة بدوى داخل أروقة الجامعات، واختفى من الحياة الجامعية المصرية بعد أن استقر في باريس، الذي وصل إليها في عام ١٩٦٧ ولا يزال موجودًا هناك.

ونتيجة اختيار الإقامة بعيدًا عن مصر والعالم العربى، سقطت من الذاكرة الفكرية ميمات أستاذ الفلسفة في الحياة المعاصرة. غير أن كتبه لا تزال تواصل تحريك الأفكار لأجيال من دارسى الفلسفة.

وقد انتبعت الأمة إلى وجود د. بدوى وأنه لا يزال حياً ومؤثراً في دائرة الفلسفة، والفكر عندما أصدر سيرة حياته في كتاب، جرى تأليفه بصراحة شديدة للغاية حققت صدمة، لمن اعتادوا على عدم سماع الرأي الآخر، واستمرار غلق النواخذ على النكرة الواحدة والاجتئاد الواحد ورفض الإنصات إلى آراء مختلفة تأتي من ضفة أخرى، ومن قناة فكرية قادمة من محيط مختلف عما اعتدنا عليه.

وليس كل ما قاله بدوى سليماً أو صائباً، لكن تلك رؤيته وانطباعاته. قالها بصراحة دون مواربة أو التناف أو الاعتماد على الرمز. وقد هاجم استاذ الفلسفة الجميع بأسلوب حاد ابتداءً من طه حسين حتى العقاد وزكى نجيب محمود.

وبسبب هذه الآراء لقي كتاب د. بدوى رد فعل عنيف من أنصار تلامذة العقاد ومحبي طه حسين والمهتمين بأدب أحمد أمين ودراساته التاريخية التي خرجت عن الحقبة الإسلامية في عمله الممتع، فجر الإسلام وضحاها وظهروه.

وقد خص بدوى أحمد أمين بالهجوم الشديد، واتهمه بالسطو على أبحاث ودراسات لتلاميذه وتحويلها إلى كتب بأسمه!

وكتاب د. بدوى يضم القذائف الصاروخية لهدم فتاعات الناس عن طه حسين والعقاد وغيرهما من الأدباء والمفكرين.

ويبدو د. بدوى في حالة غضب واحتجاج، وقد عرف خلال حياته الجامعية بالعقلانية والاجتهاد في عالم الدراسات الفلسفية، فلماذا تحول من موقف عاقل رشيد إلى غضب عارم؟ أطلقه من مناه الاختياري في فرنسا ضد مفكرين وأساتذة كبار، يحظون بتقدير واحترام في العالم العربي كله.

إن «طه حسين» لا يزال رغم وفاته في عام ١٩٧٢ نقطة ارتكاز مهمة داخل خيمة الأدب، والدراسات الأدبية، والاجتماعية.

وقد جاء طه حسين بمنهج تجديد واحتراف العمل السياسي ووقف خلف تطوير الجامعة المصرية ووصل إلى منصب وزير التعليم.

وحياة طه حسين حافلة بالمواقف والآراء، التي لازالت تثير الخلاف حولها، وتجدد الحوار خصوصاً أنه كان فاعلاً في الحياة الاجتماعية والأكاديمية ونادى بحقوق المواطنين في العلم لأنه كالماء والهواء.

في كتاب د. بدوى لا نجد «طه حسين» الأكاديمي اللامع والمفكر الحر، وإنما نجد الموظف الضعيف، بلا وهج، حيث يطعن فيه المؤلف وشكك في قيمته العلمية والشخصية.

وليس طه حسين فقط الذي يتعرض لنييران المؤلف الغاضب، وإنما كل من تواجد في عصر

عبد الرحمن بدوي من مفكرين وسياسيين، يفتح صاحب كتاب «سيرة حياتي» عليهم النار ويهاجمهم بعنف، ويقلل من قيمتهم العلمية.

ويكشف الكتاب عن حالة مرارة شديدة وإحساس بالغبن وعدم التقدير، لذلك يقلب المؤلف الطاولة على الجميع، وعلى العصر كله من سياسيين ورجال علم لأنهم لم ينصفوا د. بدوي شخصياً الذي يشعر بعبقرية لم يكرمها المجتمع.

وتشمر عند قراءة سطور د. بدوي بهذه المرارة الشديدة، والحساسية المفرطة تجاه نفسه. وشعوره بالعبقرية التي لم يمنحها المجتمع ما تستحقه من تكريم وإشادة، لذلك اختار المنفى الذاتي إلى فرنسا احتجاجاً على هذا الموقف.

ولا يمكن اعتبار كتاب د. بدوي وثيقة تاريخية موضوعية. تؤرخ للعصر والناس في هذه الفترة التي احتك فيها بالحياة الاجتماعية والجامعية. لأن المؤرخ هنا يكتب من رؤية ذاتية محضة تمثل شهادة مرتبطة بظروف هو بمعنى أن د. بدوي رأى العصر من خلال نفسه. وأعطى شهادة تترجم مواقفه هو سواء الاجتماعية أو التاريخية.

وكتاب بدوي شهادة ذاتية، كان يمكن أن تمر بهدوء لولا الحساسية المفرطة من الرأي الآخر، والموقف الذي يتمرد على قناعات عامة، سواء تجاه الشخصيات أو التاريخ.

وأصدار هذا الكتاب يمثل رأى د. بدوي في العقاد وطه حسين وأحمد أمين وزكي نجيب محمود، ولا تعنى شهادته أنها تمثل الحقيقة، لكنها تحفز لمعرفة أكثر.

وهذا الكتاب يجدد الجدل حول كتابة التاريخ، وفي ظل غياب الوثائق. ومن حق كل فرد أن يقدم شهادته ويلون الوقائع بظروفه هو وموقفه وشعوره الشخصي.

ويضم «سيرة حياتي» حشداً من المعلومات، تخرج عن طرق الكتابة الذاتية. لكن المؤلف حريص على استعراض معلوماته الجغرافية والسياسية، ويقدم هنا وثيقة عن إعجابه الشخصي بألمانيا تحت قيادة هتلر.

وأهم ميزة لهذه المذكرات المخلقة والحديث بعيداً عن المجاملات.

ويعيش د. بدوي في جزيرة منعزلة ويقدم داخل أركان نفسه. وكل ملاحظاته تدور حول الذات ومظاهر العبقرية المرتبطة بها. ويوجه اللوم إلى كل فرد. وللخوف الاجتماعية التي أحاطت بوجوده في مصر حتى خروجه منها.

وقد هاجم الكتاب د. عثمان أمين بصرارة، وهو أستاذ الفلسفة الراحل وقرأت في الآونة الأخيرة فضلاً من كتاب د. عبد الغفار مكاوي ذكر عثمان أمين بالتقدير والحب.

وشخصيات مكاوي أدبية فنية. بينما د. بدوي المتأثر بهتلر ونيتشه. شن الهجوم على الجميع واتهمهم بالقصور والنفاق والسرقة الفكرية والأدبية.

والتأمل فى كتاب بدوى، يعطى قناعة بفساد العالم، وفساد النفوس البشرية، فالجميع لدى المؤلف فشلوا فى ترجمة معانى الإنسان العليا كما حكى عنها فيلسوف النشوء والارتقاء نيتشه. وينطبق بدوى معايير فلسفية على شخصيات عصره فلم ير فيها التائق الأخلاقى، أو العبقرية الفكرية.

وهو لا يعترف بعبقرية أحد ويعد كتابه ترجمة شخصية لردود فعل على العصر والناس، كتبها من شاطئ المنفى الباريسى.

وكان رد الفعل لهذه الكتابات عاصفاً، لأن د. بدوى هدم معبد قناعات ثابتة عن مفكرين وأدباء وشخصيات سياسية.

ولولا التطرق فى لغة العدا، والرفض فى كتاب د. بدوى لكان يمكن أن يكون مجدداً لحوار بناء حول إعادة التقييم بأسلوب علمى بعيداً عن التطرف.

وكتاب بدوى محير فى الحقيقة، لأنه من جانب يعتمد على صراحة مطلوبة فى كتابة المذكرات ومن طرف آخر يشن هجوماً شخصياً على أسماء صنعت نهضة وأحدثت تقدماً فى الحياة الجامعية والأكاديمية.

إن أحمد أمين مثلاً تقف خلفه سلسلة من الأعمال فى مجال الحياة الجامعية. وقد كتب عشرات الكتب المهمة، ولا يمكن نسفه على طريقة د. بدوى الإرهابية، لكن يمكن بالتأكيد نقد أحمد أمين، وإعادة دراسته وفتح الحوار حول دوره فى مجال الفكر الإسلامى.

ولم يقل بدوى شيئاً من هذا كله، غير اتهامه له بسرقة أبحاث طلابه!

وقد انتظر الناس شهادة مفكر كبير مثل بدوى على العصر والأفكار والشخصيات، غير أن شهادته غرقت فى ردود فعل ذاتية. وغضب شخصى ومرارة واضحة.

لقد كتب لويس عوض مذكراته «أوراق العمر» وعندما تعرض للعقاد وطه حسين، قام بتحليل اسهامهما ودورهما.

ورغم أن لويس عوض قد يختلف مع العقاد فكرياً واصطدم معه خلال حياته حول الشعر وكتابة أوراق التراث، غير أن عوض لم تكن لديه مرارة أو معركة شخصية مع العقاد. وقد قرأ سيرة الرجل فى إطاره عصره وتركيبته الاجتماعية والفكرية والمؤثرات المسؤولة عن الكثير من مواقفه.

وصفحات د. بدوى فيها الغضب أكثر منها التأمل. فالمؤلف مخاضب وناقم معاً، حتى عندما تعرض لمشكلات اجتماعية عاجها بمرارة ذاتية ولم ينظر إلى عمقها العام.

لقد كان تولستوى متباطفاً مع بؤس الفلاحين الروس، هو الارستقراطى من طبقة النبلاء.

إلا أن بدوى فى كتابه يتهم الفلاح المصرى بالخبث والمكر ويشن عليه حملة ظالمة لمجرد أن هذا الفلاح تطلع إلى بعض العدل الاجتماعى.

والمنكر رغم أنه ابن طبقة إلا أن نزعتة الإنسانية تجعله دائماً خارج إطار الطبقات لتمثله القيم العليا وتعاملته مع الضعفاء والأقل قوة في تركيب المجتمع.

وقد تعجبت من موقف بدوى الغريب في هجومه على فلاح معدم، ليس لديه وسائل الحد الحديثة ويعاصره الجهل والفقر والمرض.

وكان سلامة موسى، المفكر الراحل يناصر هذا الفلاح بينما د. بدوى من مقتره الباريسى هاجم الفلاح المصرى الفقير واتهمه بالطمع!

والمفكر موقف يرى في مراته قيم الحق والصواب فيدافع عنها، وكل المفكرين الكبار انتصروا لهذه القيم. وقد كان طه حسين من أمثال هؤلاء فجعل العلم وسيلة لمحاربة غياب العدل والجهل ودعا أن يكون العلم كالماء والهواء، يهدف نهضة المجتمع.

وتبدو لدى بدوى حسرة شديدة ومرارة بالغة، واضحة في كتابه، الذى لم يفتح نافذة يستطيع القارئ أن يرى منها بعض الضوء داخل شخصيات صب عليها المؤلف الهجوم الكاسح. وكتاب بدوى وثيقة للمرارة الذاتية، وإحساس العبقرى بأن المجتمع ظلمه بقدر ما. وقد عاش المؤلف داخل أروقة الحياة الجامعية وكان ملحقاً ثقافياً لمصر في سويسرا، ولم يعان بعض ما عاناه مثقف مثل د. بدوى عوض الذى رغم شعوره بالمرارة إلا أنه فتح عشرات النوافذ عن أمل مرتبط بالحياة، والعلم، والقدرة على مواجهة التحديات.

والفرق بين لويس عوض وعبد الرحمن بدوى، أن الأول أكثر قناعة بتأثير الفكر على التغيير مهما كانت عوامل الإحباط، أما الثانى الذى تربى داخل الفكر الذاتى الأوروبى فلا يرى سوى النفس وعبقريتها وفشل المجتمع في الاعتراف بهذه الموهبة.

إن أصول بدوى الفكرية ألفت به في هذه الأزمة، بينما د. طه حسين مثلاً وقف إيجابياً من أزمات الحياة ووجد أن الحل هو في دعم التعليم أى خلق الظروف الملائمة للتنمية وإفساح الطريق أمام العقل والثقافة.

ويبدو التعليم عند د. طه حسين هو الحل، بينما د. عبد الرحمن بدوى وجد أن الفلاح طماع: والمجتمع جاهل، والجامعة ساقطة في التناق.

إن أزمة د. بدوى ذاتية، لكنه عكساً على الجميع. وصدق الذين ردوا عليه مقولته، وكان الأجدر بهم حصر كتاب «سيرة حياتى» في إطار أوراق خاصة جداً لمفكر ذاتى تماماً عن العصر والناس.

وإذا تناولنا كتاب د. بدوى من هذه الرؤية سيكون له أهمية، ليس في معرفة طه حسين والعقاد وأحمد أمين وإنما في التعرف على الظروف والوسائل وأحداث التاريخ التى صنعت قناعات د. بدوى وجعلته بهذه المرارة الغاضبة.

## الأديب والناقد فى رحلة الثقافة والوطنية

رحب الناقد والأديب المصرى د. صبرى حافظ بالكاتب الكبير محمود السعدنى خلال الزيارة التى يقوم بها للعاصمة البريطانية، والتقاء السعدنى وحافظ يعبر عن حوار الأجيال فى ساحة الثقافة المصرية، واستمرار عملية التواصل بين أديب وناقد يجمع بينهما الاهتمام بتاريخ مصر والحركة الثقافية بشكل عام.

ويميز الكاتب محمود السعدنى هذا الأسلوب الضريد فى الكتابة الذى يهيم الوصول إلى أكبر عدد من الناس، لذلك يعتمد قاموسه على مفردات الحياة اليومية، والأمثال الشعبية واللغة المحكية التى يستخدمها أبناء الشعب فى رحلة الحياة اليومية، والسعدنى يعتمد على هذا الأسلوب لأنه كاتب يتجه للناس، ويتحدث معهم بلغة البسيطة، التى تقترب من أكثر الموضوعات الشائكة بلغة واضحة تبتعد عن الأسلوب القاموسى وطريقة المعاجم والتعبيرات الأكاديمية التى تتعثر دائماً فى الوصول إلى مساحة عريضة من الناس.

وقد كتب عشرات النقاد عن أعمال السعدنى فى الرواية التى دخلها بعمله البارز «حتى يعود القمر» والمجموعات القصصية «من السماء السوداء» إلى «حارة السعدان» فى أعمال تقترب من نهر إبداعى مختلف ركز على «الحارة المصرية» وتاريخ لنوعية شخصيات أبناء البلد، بكل القيم والأفكار المرتبطة بهم ومعارك السعدنى السياسية أثرت على أدبه وحججه فى هذا العالم، غير أن الناقد محمود أمين العالم تناول تجرسته المسرحية التى اعتمدت على الأجواء نفسها فى واقع الحياة الشعبية.

والدكتور صبرى حافظ موجة أخرى من نهر الحياة الثقافية المصرية، فقد انتمى إلى تيار حركة الستينيات التى جاءت بطفرة جديدة فى الشعر والرواية والمسرح وكان هو الناقد الذى تابع هذا الجيل وكتب عنه فى قراءة نقدية جمالية اعتمدت على المنهج الاجتماعى، وقلّص الأفق المرتبطة به، وقد دخل الناقد المصرى إلى عالم الدراسات الأكاديمية بهذا الالتزام، والرؤية، والمتابعة، وإنتاجه النقدى يواصل قراءة الأفكار الشابة فى عالم الرواية والقصة والشعر والإبداع بشكل عام.

وكان جميلاً مراقبة لقاء محمود السعدنى بصبرى حافظ ومتابعة الحديث عن شئون الثقافة المصرية، والأجيال الشابة، والكتابات الجديدة وذكريات عن حركة الإبداع المصرى التى

انطلقت في مصر قبل الثورة واستمرت خلال هذا الزخم الكبير في قضايا الفن والأدب. وقد أرخ السعدنى لهذه الموجة الأدبية والنقدية من خلال متابعة رواد متهى عبد الله فى الجيزة، الذى كان الصالون الأدبى الذى تجمعت فيه أسماء أنور المعداوى، نعمان عاشور، زكريا الحجاوى، والسعدنى نفسه.

وصبرى حافظ ينتمى إلى بقعة ثقافية أخرى، التى تجمعت حول نجيب محفوظ فى ندوته الأسبوعية على مقهى الأوبرا، ثم الانتقال إلى مقهى ريش، وهذا الأخير هو الذى دشّن موجة أدب ونقد الستينيات مع حوارات إبراهيم منصور وشعر أمل دنقل ونجيب سرور. وجاء لقاء السعدنى وحافظ ليعكس تواصلًا بين جيلين مختلفين لكن يجمع بينهما الارتباط بمسيرة مصر الثقافية والإرتباط بالنهج الوطنى والالتزام بتقاليد الوطن والتماس مع أحلام العدل الإجتماعى، وتيار الحرية الديمقراطية.

ويكن السعدنى لصبرى حافظ الإحترام والإعجاب بمسيرته الطويلة فى مجالات النقد والإبداع الثقافى، ومواقفه خارج مصر خلال رحلة الدراسة فى جامعة أكسفورد ثم العمل بجامعة لندن، وقد أشاد الكاتب الكبير دائماً بصبرى حافظ، والانتفاء الوطنى والتألق النقدى. ويخص د. صبرى حافظ السعدنى بمحبة بالغة، ومتابعة لكتاباته الأسبوعية فى مجلة «المصور» المصرية، والتى يكتب فيها حافظ نفسه.

وكان لقاء لندن فرصة للحوار المشترك، والحديث عن كتابات السعدنى الأخيرة، والمعركة التى أنفجرت فى مصر حول كتابه الذى صدر منذ ثمانى سنوات «الطريق إلى زمش» وأثار الشجار الفكرى والسياسى من خلال مقالات رفعت السعيد وفتحنى عبد الفتاح والسعدنى، الذى نشرته مجلة «الهلال».

وتحدث السعدنى عن كتابه «حمار من الشرق» وعن كتبه الأخيرة التى تمثل مرحلة من الكتابة تعتمد على المزج بين حكايات ذاتية ورؤية عميقة تتجاوز ووقائع القصة المادية لتنفذ نحو الجوهر والجذور فى رحلة الناس والحياة.

وأبدى د. صبرى حافظ اهتماماً كبيراً بالسعدنى، فهو رمز لجيل قدم ريادة فى جميع المحاور، الأدب والثقافة ودفع الثمن الباهظ نتيجة الإيمان بفكره والدفاع عنها، ويجمع بين الاثنين هذا العامل المشترك وهو دفع ثمن الثقافة والانتفاء، غير أن السعدنى وحافظ معاً يفرقان بين الذاتى والموضوعى، وموقفها غاية فى التألق فى الدفاع عن قيم وطن ومصطلحه فى التسمية والبناء.

لقد كان اللقاء ممتعاً بين رمزين لجيلين يجمع بينهما هذا الوهيج الوطنى وحب الثقافة واستخدام الكتابة فى حرفة الإبداع والالتزام أيضاً.

## صورة مصر فى أدب نجيب محفوظ

تداول د. رشيد العنانى أستاذ الأدب العربى بجامعة أكستر ببريطانيا حياة الأديب المصرى البارز نجيب محفوظ، الحائز على جائزة نوبل للأدب فى محاضرة مهمة طافت بعالم الرواى لقراءة تاريخ مصر القديم والمعاصر من خلال روايات كتبها بإيقاع الزمن المصرى ترجمة أمينة للغاية للوجدان العام للأمم، وللتيارات المختلفة التى سيطرت على مشهد الثقافة، والتاريخ، والصراعات الفكرية.

ود. العنانى يعيش أدب نجيب محفوظ فى رحلة نقدية مستمرة معه، تواكب لحظاته الكبرى والمحطات التى توقف عندها، سواء فى الحقبة الفرعونية، أو خلال بحث مصر عن نفسها فى ظل الاحتلال والثورة القومية ضده. كما أن قلم الكاتب راقب مرحلة ثورة يوليو فى أعمال نقدية كبرى بدأت مع «السمان والخريف» واستمرت حتى «ثرثرة على النيل» وهى الرواية التى جاءت قبل التمسك تماماً، ويرى النقاد أنها كانت العمل الأدبى الذى توقع هذه الهزيمة الضارية التى عاشها المجتمع المصرى.

ويؤرخ أدب محفوظ لمرحلة عصر السادات، والحراك الذى جرى فى ظل سياسة الانفتاح وهو ما جسده فى أكثر من رواية بارزة، تعد المعادل الموضوعى الأدبى لهذه المرحلة وما حدث بعد تحرير الأرض فى السادس من أكتوبر ومرحلة البحث عن السلام والانهاء باغتيال «السادات» على يد المعارضين له من أنصار الحل الإسلامى، ومجموعات الاحتجاج الدينى. ويميز الأكاديمى المصرى القراءة الجيدة لأعمال محفوظ. وقد عكف على ترجمة رواية «حضرة المحترم» إلى الإنجليزية، وله أكثر من كتاب فى رحلة متصلة مع أعمال الكاتب المصرى الكبير.

وقراءة العنانى لا تعتمد على منهج أيديولوجى مثلما فعل بعض النقاد أمثال إبراهيم فتحى ومحمود أمين العالم. وإنما رحلته النقدية تعتمد على تفسير روايات محفوظ من داخلها، وفى المحاضرة التى ألقاها فى المركز الثقافى المصرى ركزت على ربط محفوظ بالتاريخ المصرى مع قراءة الخطوط الرئيسية لمرحلة رواياته الفرعونية. ثم الانتقال إلى الواقع نفسه مع الارتباط بنهر الحياة فى دولة محتلة، ينمو تطورها الاجتماعى فى ظل طموح جارف للخروج من حالة الحصار التى تم فرضها، والضائقة الاقتصادية التى كانت تعيش فى ظلها الطبقات الشعبية. وعبرت عن هذه الحالة رواية القاهرة الجديدة التى شرحت ظروف الكساد، والتفكك

الاجتماعى الذى يعود إلى الفقر، وفساد الطبقة العليا الحاملة التي لم تكن تهتم بالواقع المصرى.

وتطرق العنانى إلى رواية «زقاق المدق» الثرية بالمعاني، والدلالات التي يمكن تفسيرها بأكثر من رؤية، واتجاه نقدي، وكان الكاتب افتتح روايته على العصر وانتقال مقهى المعلم «كرشة» من السماع إلى حكايات الراوى لأبطال السير الشعبية إلى عصر «الراديو» في إطلالة على زمن آخر. لكن مصر كانت محاضرة في زقاق ضيق من الجهل وغياب القوة الاقتصادية التي عرقلت نموها. وكان الخروج من الحارة بحثاً عن العمل يأتي في الانضمام إلى معسكرات الجيش الإنجليزي في مدن القناة.

وتوقف المحاضر عند هذه الرواية العملاقة التي ترسم صورة دامية للطموحات المكبلة، والتعثّر في الحياة العامة وخروج «حميدة» بطلة الرواية إلى وسط القاهرة للعمل في حاناتها. فقد كانت جاهلة وفقيرة وطموحه وتحلم بالثراء.

وكانت «زهرة» في «ميرامار» تعيش الأزمة نفسها، لكنها اختارات التعليم للخروج من عثرة الجهل، والفقر، والتحكم فيها، ونهم الرجال إليها.

واذكر كيف كيف أن نقاد حقبة الستينيات فرحوا بنموذج «زهرة» التي فتحت طاقة الأمل في مجتمع جديد. فبينما سقطت «حميدة» في مستنقع الرذيلة ومات خطيبها «عباس الحلو» في مشاجرة مع الإنجليز، جاءت «زهرة» في الستينيات تعبر عن قسما جديدة. ورغم الانتقاد الواضح لثورة يوليو، غير أنها أحييت الأمل في موضوع التعليم وقدرته على التغيير، وفك أزمة المجتمع. وقد استوعب المصريون هذه الحقيقة رغم موجات أخرى من التزييف لهذه القضية.

وبدأ العنانى محاضراته التي ألقاها بالإنجليزية في تتبع أدب نجيب محفوظ من الحقبة الفرعونية إلى دخول المرحلة الواقعية التي انتهت بعمله الضخم «الثلاثية».

وعندما قامت ثورة يوليو توقف عن الكتابة لمدة ست سنوات ثم عاد بعمله البارز «أولاد حارتنا» الذي أثار عليه مجموعات التطرف التي فسرت الرواية بطريقة خاطئة، وهي في جوهرها محاولة لرسم صورة للكون في الصراع على الأرض بين العدل والظلم، والقوة والحق. وقد تقع الرواية في تفسير وقائع هذه الأيام عندما نقارن بين رؤية محفوظ، ومحاولة بعض «فتوات العالم» فرض الوصاية اعتماداً على القوة وليس الحق.

وكانت «الثلاثية» هي المعادل الأدبي، والروائي لمصر مع بداية القرن الماضي ووجود الاحتلال والثورة القومية ضده. وتسجل «بين القصرين» هذه الحالة من الخمود والانكسار لكنها تبرق فيها ثورة ١٩١٩ الكبرى والهبّة الشعبية ضد سلطة الإنجليز. والتظاهر من أجل

تسعد، وحزب الوفد الذى حمل لواء المعارضة.

وتبين «قصر الشوق» حجم التغيير الذى جرى فى ظل نهضة الأفكار وعمل الجامعات وتبلور القوى الجديدة، وتسجل أحداث «السكرية» هذا التزاحم على الكفاح من أجل الحرية، ووجود الفكر الدينى من ناحية والآخر اليسارى. وقد نبغ الإتجاهان من خلال أسرة واحدة انتمى إليها إبراهيم وأحمد شوكت ووقف بينهما «كمال عبد الجواد» المثقف الذى اختار عدم الانتماء وعدم الاختيار فقط فى حيرة أنواء «الأنا» عندما تنفلق على ذاتها.

وانتقل المحاضر إلى مرحلة ما بعد الثورة فى ظل الأعمال النقدية التى خرجت تتحدث عن مجتمع جديد تخلص من الاستعمار لكنه أوجد طبقة جديدة من «العسكرتاريا» لذلك اندمجت شرائح من المثقفين والطبقة الوسطى فى حلقات التدخين، إذ لم يعد لهم دور فى المجتمع.

وكان التطهير ألقى بعيسى الدباغ فى «السمان والخريف» على الهامش والتجاهل عقاباً له على تورطه فى الفساد، وهو الوطنى الذى شارك فى الاحتجاج، ومكافحة الاحتلال. لكن السلطة الجديدة اتهمت «الوفد» بالخضوع للإنجليز فى حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ كما أن سلطة الوفد مع أحزاب ما قبل الثورة تورطت فى الرشوة والفساد. ولعل من الأهمية إعادة قراءة محفوظ فى هذه الأعمال النقدية التى نشرها مع «الللص والكلاب»، «الطريق» «الشحاذ» وحتى الوصول إلى «ثرثرة على النيل».

والحقيقة أنه تمتع بحرية مطلقة فى النشر، ولم تتعرض رواياته للمصادرة رغم أنها كانت تنتقد النظام بعنف، ولكن بأسلوب الرواية.

وقد تحدثت «سوسن حمادة» فى «السكرية» عن مكر الشكل القصصى، وأنه يمكن احتواء كل شيء دون التعرض لرقابة أو مصادرة.

وتابع محفوظ رصده للحياة المصرية بعد زلزال النكسة، ولعل روايته البارزة «المرأيا» تدور فى عمق المجتمع حول الأسباب التى أدت إلى الهزيمة العسكرية التى تعرضت لها مصر. وشخصيات هذا العمل تعبر عن شبكة المجتمع وما تعرضت له أسماء نائرة متمردة من قمع وكبت أنهى ثورتها، وما كانت تحمله من أفكار ورؤى.

ويدين محفوظ المجتمع المحافظ وتقاليده التى كانت وراء عدم دخول عصر العلم والتكنولوجيا مما كان له أكبر الأثر فى تحقيق الهزيمة.

ولعلنا نتذكر شخصية «عرفة» فى «أولاد حارتنا» الذى كان يحمل رسالة العلم، ويسعى لمنعها للمجتمع وفقراءة الحارة لمجابهة قوى الظلم والسحق الاجتماعى.

والاستماع إلى د. رشيد العنانى وهو يتحدث بصوت العلم والاستيعاب لعالم نجيب محفوظ متعة حقيقية، وهو ناقد يهيمه التفسير الداخلى للأعمال الروائية، وغير منشغل بربط أعمال

الروائي برؤى خارجة عن عالمه فهو - أى الناقد - يتميز بالموضوعية الصارمة فى الارتباط بالنص وعدم تجاوزه أو الخروج عنه.

وهذه طريقة مطلوبة فى التعامل مع روائى بحجم نجيب محفوظ، وقد ارتبط الروائى بعمق الهيكل الاجتماعى المصرى، وقد تخفى وراء شخصيات اختارها بعناية، لكنه دائماً يوجه اللوم إلى غياب العدل وسيطرة القوة وهيمنة الفقر والجهل فى حالة مصر قبل ثورة يوليو.

وقد تعلم سعيد مهران فى «الرص والكلاب» لكن رءوف علوان المثقف والصحفى وجهه إلى الطريق الخاطىء، نحو سرقة الأغنياء لتحقيق العدل! وكان علوان وراء محنة «الرص» الذى حاول تغيير حياته لكنه واجه الخيانة من «نبوية» زوجته، وعليش حبيبه، وصديقه وأستاذه رءوف علوانى.

وعالم نجيب محفوظ غاية الثراء، وهو بأدبه مرآة لمصر، وطموحها الفريد وحلقات الحصار حولها من أول قيود الاستعمار حتى لصوص الانفتاح.

ومحفوظ ابن لثورة ١٩١٩، وأحلامها الديمقراطية، لكنه انتقد الطبقة التى جاءت معها وحملت راية الكفاح ضد الاستعمار، ورغم تعاطفه مع «عيسى الدباغ» الوجدى القديم، فإنه عكس أنانيته عندما رفض الاندماج مع الطبقات الفقيرة، وقبول العمل والحياة معها.

ويوجه محفوظ للدباغ التهم، ويبكى مصيره، فقد كان يأمل أن يكون أكثر صلابة فى رفض الفساد والرشوة، فقد كان عنصرًا خيرًا لكن السلطة والطموح الطبقي وراء هزيمته، فقد تطلع لمصاهرة الأثرياء والحكام وطرد الطبقة الشعبية الممتلئة فى «ريرى» عن عالمه رغم أنها كانت تحمل ابنته فى أحشائها.

رواية مثيرة تماماً تلك «السمان والخريف» ومن الأهمية الرجوع والتأمل فى عالم نجيب محفوظ وهو ما فعله د. رشيد العنانى فى محاضرة مثمرة للغاية فى المكتب الثقافى المصرى. وشهدت قاعة المكتب النقاش المفتوح حول نجيب محفوظ، مصر وزعماء، اجتهدوا فى رسم مسيرة الحياة المصرية ومستقبلها.